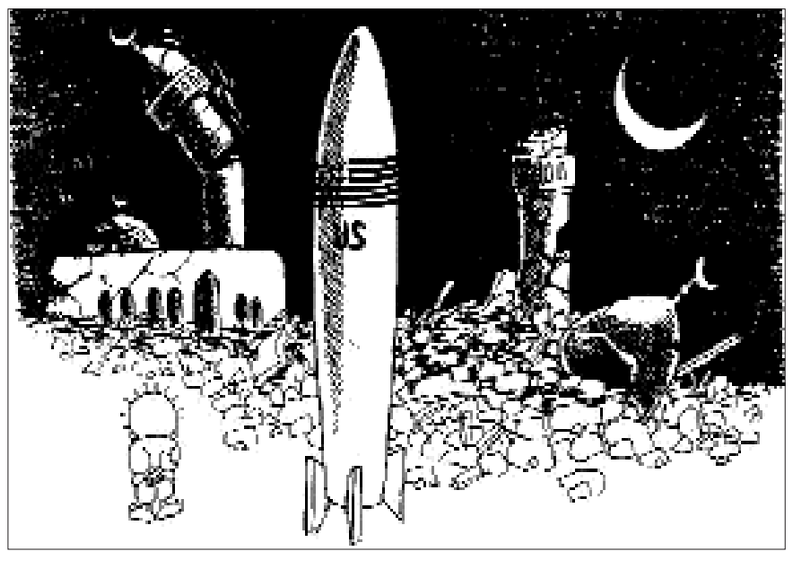

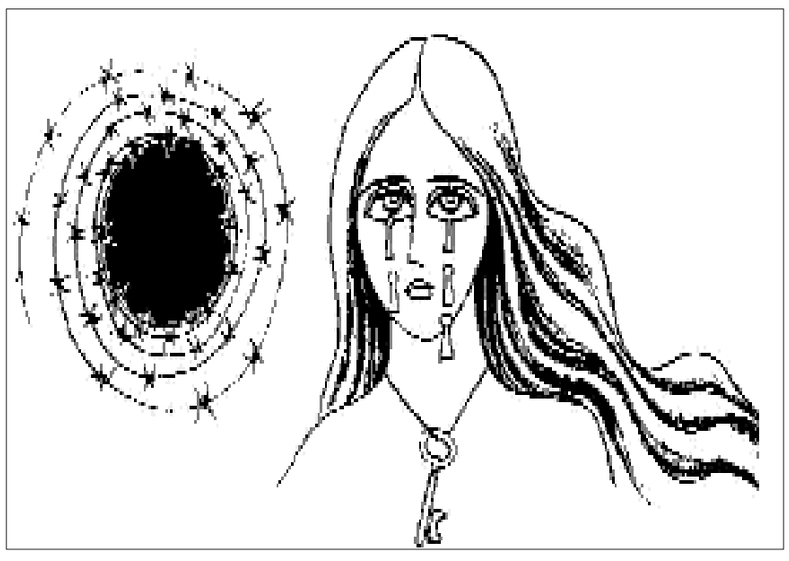

15 عاماً على ذكرى اغتياله

"الوسط" تنفرد بحديث خاص مع عائلة ناجي العلي في المهجر

■ لندن - ريم خليفة

□ لقد ترك فنان الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي ثروة لا تحصى من الرسوم الكاريكاتيرية التي تعبّر عن القضية الفلسطينية والمنشورة في اكثر من مطبوعة عربية... غياب ناجي العلي عن الساحة الكاريكاتيرية من عالم الصحافة العربية وحتى في ظل التطورات المتلاحقة في الاراضي المحتلة،لا يعني ركنه في سلة الذكريات.

لقد طبع العلي في اذهان العرب اسلوبه وفنه الملتزم مع ولادة شخصية حنظلة التي لازمته كالظل ازاء رؤيته للقضية الفلسطينية كفنان وكمواطن فلسطيني غيور على قضية ارضه وصاحب مبدأ لايتزعزع...

وتقوم حاليا عائلة ناجي العلي بالإعداد لنشر كتاب يضم 250 رسماً كاريكاتيريا بعضها ينشر لأول مرة مع صور فوتوغرافية واخرى نشرت للعلي في مطبوعات عربية متعددة، وتحديدا في مراحل سنواته الاخيرة. ولقد تم اختيارالرسوم بعناية حتى يكون الكتاب في جزئه الاول مرجعا فنيا وتوثيقيا للجميع.

«الوسط» حظيت بلقاء خاص عائلة ناجي العلي التي قلّما تحدثت مع الصحافة بعد مرور سنوات طويلة على رحيله. وزارت منزل العائلة في احدى ضواحي لندن، الذي كانت قد انتقلت إليه في العام 1986 قبل اغتيال العلي بعام.

تقول وداد النصر، أرملة العلي ان حياة زوجها كانت مليئة بالاحداث والتزامه بقضيته جعله من القلة التي تناضل عبر الرسم الكاريكاتيري في الصحافة المكتوبة.

وتضيف وهي تنظرالى رسوم العلي المعلقة من حولها في غرفة الضيوف «اتذكر ان ناجي كان انساناً حساساً، شفافاً، صريحاً، صادقاً مع نفسه ولديه جرأة رهيبة لا ترهبه من احد عندما كان ينتقد اي شئ (...) وهي صفة ميّزته عن الاخرين».

«أما حياتي معه فقد بدأت منذ ان تزوجنا في العام 1966، ولا بدّ من الاشارة الى ان تجربتي النضالية كانت متواضعة بالنسبة إليه، اضافة الى تفاوت العمر فقد كان يكبرني باحدى عشرة سنة. وزواجي منه تم بصورة تقليدية فقد كان صديق أخي والعائلة».

وتتذكر النصر أن زوجها كان يجلب اوراقه واقلامه ليعمل في البيت، فأغلب الرسوم كان يرسمها في البيت و في أوقات كثيرة كان يأخذ برأيها.

في احد شوارع العاصمة لندن

قلق ونضال

وعن طبيعة الصعوبات التي واجهتها مع زوجها تقول النصر: «حياة زوجي لم تكن سهلة، كان هناك نوع من الخوف والقلق! وكثيرا ما كان ناجي يتنبأ بالاحداث، وهو في اوقات كثيرة كان على حق. لكن بعد وفاته تغيّرت الظروف ربما شعرت بالامان اكثر بعد انهى ابنائي تعليمهم هنا في لندن، العاصمة التي خطفت منّي زوجي والمحطة الاخيرة التي استقرت فيها عائلتي».

وتضيف «النضال ليس بالشئ الجديد عليّ، فوالدي من قرية «الصفورية» شارك في الثورة مع عبدالقادر الحسيني الى يوم اغتصاب فلسطين في العام1948(...) وانا فخورة بذلك وكوني زوجة ناجي العلي كنت اعرف طبيعة حياته وعايشت التهديدات التي كان يتعرض لها من الاخرين».

وتوضّح النصر ان تأمين تعليم ابنائها الاربعة خالد، ليال، جودي، واسامة هو ما سعت اليه بعد وفاة زوجها، كما ان التعليم هو أكثر مايهتم به الفلسطينيون في الغربة بعد قضيتهم.

وتضيف كل فلسطيني يدفع ضريبة قضيته، وزوجها كان يكرر دائما «اسهل عليّ الموت على أن ارسم شغلة موبقتنع فيها».

وفي سياق الحديث تؤكد النصر أن شخصية هذا الانسان لا تعوض وهذا الزمن لا يزال يحتاج الى امثاله.

التهديد

وعن علاقة زوجها مع اولادها تقول النصر «المسئولية كانت بالكامل عليّ، ولم يزعجني ذلك ابدا. كان يعلم في قرارة نفسه انه لا يستطيع ان يقسم نفسه معنا فقد كان كثير الانشغال، مقدرا دوري في ذلك».

ومن جهة اخرى تضيف ان ابنها الاصغر اسامة قد ورث عن والده طباعه، وهو يحب الرسم كهواية الاّ ان احدا من ابنائها لم يحترف فن الرسم.

وتتذكر النصر وهي تقلب شريط الذكريات في ذاكرتها انه قبل اغتيال زوجها بأيام قليلة اخفى زوجها عنها موضوع التهديد الذي تلقاه «لكن صدفة سمعت من صديق اتصل ليطمئن عليه».

«في تلك اللحظة عاتبت زوجي الذي رد بكلمات لاتزال عالقة في ذاكرتي «اسهل عليّ أن ابيع بنادورة وفلافل من ان أبيع قضية بلدي... ما فارقة معي! صح ما تركت اموال لاولادي لكني تركت سمعة جيدة عنّي...».

وتوضح النصر انها لا تزال تشعر بوجود زوجها بين افراد عائلتها فصوره واعماله تملأ جدران منزلهم «اشعر انه في رحلة سفر يتركنا ثم يعود... فلا احبذ فكرة انه غير موجود».

مشروع الكتاب

أما مشروع الكتاب فقد رحب بالحديث عنه خالد الابن البكر لناجي العلي الذي قال «لقد استغرق جمعي للاعمال الكاريكاتيرية فترة طويلة منذ رحيل والدي في العام 1987، فمعظمها كان ضائعا وقليلا منها ما كان موجودا، وهذا يرجع الى عدة اسباب مثلا، متى تم نشر الكاريكاتير؟! في اي مطبوعة؟!».

ويواصل «الصعوبة كانت تكمن في البداية في كيفية الحصول على هذه الاعمال الضائعة بصورة صالحة للنشر، فوالدي قد رسم وعمل في أكثر من بلد ومطبوعة عربية. لكن مع التطور التقني، اصبح بالإمكان جمع هذه الرسوم من الصحف مباشرة وجعلها صالحة للنشر، عبر استخدام وسائط الكترونية مختلفة».

ويوضح خالد انه بعد مشاورات واستشارات جرت بينه وبين بعض الاصدقاء والفنانين والصحافيين – دون ان يشير الى اسمائهم – تم الاتفاق على نشر مختارات من هذه الاعمال وهي مرحلة الكويت في صحيفة القبس (1983–1987) وقد تم استبعاد الاعمال التي حدثت في وقت معّين لموضوع معين.

«لقد تم اختيارمختارات من رسوم المرحلة الاخيرة من حياته لأن بعضا منها لا يزال صالحاً لقضايا الوقت الحالي في العالم العربي، ومن المتوقع ان يصدر الكتاب مع نهاية العام الجاري».

قرار عائلي

وعمّا اذا كان الكتاب سيشمل جوانب لا يعرفها القارئ العربي من حياة العلي قال خالد «من دون شك السيرة الذاتية الخاصة بمرحلته الاولى ستتضمن تفاصيل اكثر. فبعض المقالات التي نُشِرَتْ عنه في الماضي حملت بعض الاخطاء في التواريخ والاحداث، و نأمل ان يكون هذا الكتاب بمثابة مرجع موثّق عن حياة والدي ايضا».

ويوضح ان مشروع جمع اعمال والده قد استغرق فترة طويلة بسبب ان الجزء الاكبر من اعماله نشر في الكويت، وقد مرت سنوات طويلة لم يستطع فيها جمع اكبر قدر ممكن من الرسوم بسبب حرب الخليج الثانية.

ويضيف «عدا تعلقي بوالدي فقد كان القرار عائلياً لتوثيق أعماله وتاريخه واذا لم نقم بذلك فلا اعتقد ان اية جهة كانت ستتبنى او تقوم ما قمنا به حتى الآن. كما ان الناس تتصل من فترة الى اخرى لتسأل عن بعض المعلومات. وتجميعها، هذا بحد ذاته يعد انجازا حتى لو لم تنشر!».

يذكر ان هناك نية لجمع مواد الكتاب الاول في اقراص السي دي وطرحها في موقع الكتروني خاص بناجي العلي.

وشخصيا يرى خالد ان اعمال والده التي لم يشهدها قبل ولادته خلال عملية البحث والجمع، كانت بمثابة مراحل جديدة يتعرّف عليها لاول مرة واكتشف منها ملامح شخصية والده في مرحلة مبكرة بينما رسومه التي يعرفها وعايشها فأغلبها في منتصف السبعينات وحتى الثمانينات.

تقدير

وحول الاعمال الفنية التي صورت شخصية العلي في صور سينمائية او فنية مختلفة،قال خالد: «اولا اشكر اي شخص او جهة اومؤسسة تخلّد ذكرى الوالد لكن ليس بالضرورة ان اي عمل يظهر يكون ناجحا او يلقى الرضى من عائلتي (...) طبعا هناك شكر وعرفان الا ان هذا لا يمنع من القول ان هناك بعض الملاحظات كالدقة في سرد المعلومات».

ويوضح بأن بعض الاعمال لم يرجع اصحابها الى العائلة على الاطلاق للتأكد من صحة المعلومات «انت تلمح الى فيلم الفنان نور الشريف، اعتقد ان نية المنتجين كانت بصورة عامة حسنة لكن ليس قطعا في هذا الفيلم!».

ويضيف «في ظل هجوم غير منصف تعرض له الشريف، فعائلتي لم تشارك في هذا الهجوم، لانها تقدّر قيمة المجهود».

وفي ختام لقائي مع العائلة لابدّ من التنويه الى ان شخصية حنظلة المتمثلة في ناجي العلي ستبقى عالقة في اذهاننا مهما مرّ الزمن فرسومه كانت ومازالت صرخة الحق المسلوب عن شعب لطالما طالب بشريعة ارضه المغتصبة!

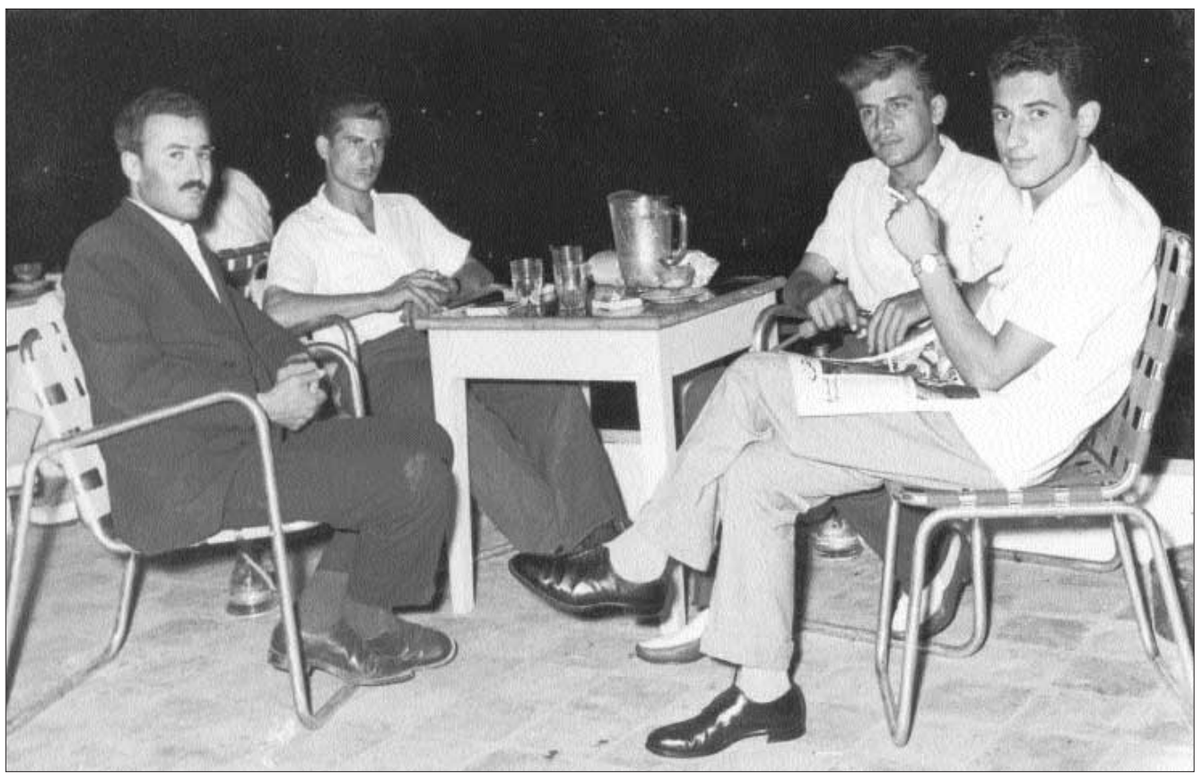

العلي «الاول من اليمين» مع مجموعة من أصدقائه

* 1987 أطلقت عليه النار في مساء 22 مايو/تموز بلندن عندما كان متأبطا بعض رسومه، متوجها الى عمله، فأصيب برأسه واستمر في حالة غيبوبة حتى29 اغسطس/اب حيث توفي ودفن في مقبرة «بروك وود» في العاصمة البريطانية لندن.

* اختارته صحيفة «اساهي» اليابانية، كواحد من بين أشهر عشرة رسامي كاريكاتير في العالم.

* 1988 : تسلمت زوجته وابنه في 5 مايو/أيار جائزة «قلم الحرية الذهبي» الذي منحه الاتحاد الدولي لناشري الصحف في إيطاليا. واطلق عليه وصف بأنه «واحد من اعظم رسّامي الكاريكاتير منذ نهاية القرن الثامن عشر». و يعد ناجي العلي اول رسّام كاريكاتير وصحافي عربي نال هذه الجائزة

1988–2002: صدرت عنه الكثير من الكتب وعشرات الرسائل الجامعية وإنتاج افلام سينمائية وتلفزيونية تناولت حياته وفنه. كما لا تزال صحف ومجلات في عواصم عربية وعالمية تعيد نشر اعماله في فترات مختلفة.

المصدر: عائلة ناجي العلي

ناجي العلي... الضمير الباقي

■ المنامة - خالد الهاشمي

□ اختار له القدر أن يولد على ارض فلسطين كأي طفل شغوف بالحياة والحرية والحلم، وكان قدره أن يقّتلع من أرضه ليكبر في صحراء غربته كالنبتة البرية فيسكن الوطن في قلبه [illegible] الألم كل صباح وهو يصيغ بخطوطه الرشيقة فكرة تفجر أسئلة الشك بواقع [illegible]

منذ البدء، اختار أن ينحاز بشدة إلى البسطاء، أولئك الذين تحرك خ[illegible] الإنساني والفطري بكل صدق وتلقائية وسط تناقضات واقع مهين مفروض [illegible] في الإذلال». اختار أن يكون في أعماله كالشفرة الفاصلة بين الأبيض والأ[illegible] لأنصاف الحلول ويعتبر البوح بنصف الحقيقة رياء لا يحتمله أي كائ[illegible] إنسانيته. وأمام ذلك كان عليه أن يتصدى للنفاق السياسي ومروجيه م[illegible] الفنية البسيطة.

كثيرون كانوا يرون أن حصر الأبيض والأسود مسألة فيها تطرف [illegible] التصرف عندما تقتضي الحاجة !!، إلا أن ناجي كان واضحاً في تشخيـ[illegible] المساحة الرمادية التي يحاربها بين عتمة الظلال وضياء الغسق، مساحة تت[illegible] باستمرار في مجتمعاتنا العربية الخاملة كالمستنقع لتبتلع كثيرين سواء كان[illegible] ضحايا أو تائهين يغرقون في الوحل الرمادي فلا يبصرون.

ناجي لم تسجنه جغرافية الحدود فالتاريخ كفيل بتقديمه بامتياز كفنان عربي مبدع استطاع أن يلمس قلوب البسطاء بخفة الفراشة ويصفع بعنف وجوه القبح السياسي والتخلف الفكري كل يوم عندما يخترق نقاط التفتيش والجمارك المزروعة في العقول والمكاتب ليضعنا وجهاً لوجه أمام المشهد السياسي دون رتوش.

كان يصيغ أعماله بجنائزية مرهفة وبأبسط الشخوص وأكثرها حضوراً في حياتنا العامة وهم افراد العائلة الفلسطينية – العربية البسيطة. أعمال لم يأسرها الروتين اليومي وإنما كانت أعمالاً مفعمة بروح التحدي والرفض والمقاومة لكل أشكال التخلف والغبن، او لنقل مفعمة بروح تطمع بتواضع من أجل حياة اكثر إنصافاً وعدالة.

ما أبهرني في أعمال ناجي منذ البداية هو كبرياء رسومه الحزينة عندما يضع أمامنا بصدق أفكاره البسيطة والعميقة والعنيفة ايضاً والأهم أنها مدهشة، ذلك الشرط الأساسي لأي عمل فني، هذا [illegible] الجانب الفني الاهتمام في أعماله كما كان يقول في لقاءاته [illegible]ينة على رغم ما تظهره من مرارة فإنها لم تكن يائسة وإنما [illegible]ير من الحالات كانت كقصائد شعرية ذات مخزون فكري [illegible]ألوف.

[illegible]س مبكراً بعجز المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية عن [illegible]ها كثيراً بقدر ما اتجه لنقدها بجدية ودون هوادة يقيناً بأن [illegible]ر. وكان يعي بأنه كلما بالغت الفرق السياسية والحزبية في [illegible]حباطات البسطاء في الأمل والمستقبل فكان لابد من مواجهة [illegible]ن السخرية الجادة.

[illegible]ناقضات والانفعالات والصراخ والعويل كان أعداء ناجي [illegible]ر ما كانوا يرتبكون إزاء الحقيقة التي يصفعهم بها ناجي كل [illegible]جاملات أو تهاون. ظل ناجي منشغلاً يبحث عن البعد [illegible] الحوادث اليومية وهو شرط الحياة الأول ليولج بعيداً خلف [illegible]خلف غبار اللحظة الأخبارية وهو شرط لم يكن من السهل [illegible]ه في الكاريكاتير السياسي اليومي النازف.

[illegible] اقتناص كاريكاتير الفكرة ليفسح المجال للقارئ للمشاركة [illegible]ية وإعادة صوغ الحدث السياسي بعيداً عن اللافتات [illegible]ات الفاسدة وكان ذلك شيئاً لا يحتمل للملوثين بالعفن [illegible]ن في الأرض. لم تكن معركة متكافئة، فكما اختار هو الحياة [illegible]ة اختار أعداؤه الموت والقتل، فكان هدفهم في صبيحة [illegible] 1987 لينفردوا به وحيداً في مواجهة مع رصاصة الخوف [illegible] يموت... او هكذا كانوا يعتقدون!.

حنظلة الذي لا يهرم أو الايقونة الخالدة

■ الوسط - حسام أبو اصبع

□ عمر هذه الشخصية الكارتونية الآن 36 سنة، هكذا تقول الحسابات التاريخية.

وما أراده صاحبها أن تظل هكذا، بنت عشر سنوات لا تزيد ولا تنقص، لا تتقدم ولا تتأخر، تراقب وتعاين، وتظل حبيسة الألم، بانتظار غبار كرامة يزحزحها من مكانها. ويبدو أن حنظلة قد سمرت قدماه أبداً.

قبل 15 سنة أي نصف عمري بالتمام والكمال – كنت قد تعرفت على أجمل أطفال العالم، عبر مجموعة من رسومات ناجي العلي الكاريكاتيرية التي كان يحتفظ بها والدي ويعتز. وأذكر أنه قال: لن يطول عمره كثيراً، كان وقتها قد بلغ من الحدة والشراسة في النقد والسخرية اللاذعة ما يكفي لتوقع مثل هذا الأمر، وأذكر أنه لم تمض سوى أيام قليلة حتى رحل العلي وترك خلفه حنظلة وحيداً.

وأزعم أنني كنت محظوظاً فأنا أعرف حنظلة، كما أعرف اختلاس بعض لفافات التبغ ونفثها بعيداً عن أعين الأهل! في حين كان غيري لا يعرف سوى الأخيرة، بينما يجهل من هو حنظلة.

وحنظلة وصاحبه قيض لهما أن يدخلا التاريخ، وأن يصبحا مرجعاً مهماً عربياً على الأقل وإن صنف في قائمة أشهر الرساميين عالمياً – لمن يتعاطى هذا الفن الخطير إبداعاً أو تلقياً. ولعل أهم مزية اصطبغ بها عمله انتماؤه للفن الجاد ونأيه عن خفة الدم والتهريج، لذلك كانت رسائله موجعة، تقف خلفها قضية تلبست صاحبها تماماً.

حضور حنظلة وكذلك ناجي العلي، هو حضور يومي، يقفز أمامنا فوراً حينما نقف وجهاً لوجه أمام سفاهة أو سخافة أو ضحالة كاريكاتيرية، أو مخيلة نضب عطاؤها، أو غير مهيأة أساساً للعطاء.

وسأقول دون تحفظ ان ناجي العلي قد صعب من فن الكاريكاتير كثيراً، وفضح الكثيرين من المدعين، وأصبح بحركة واعية أو لا واعية موضع مقارنة فورية مع غيره، وانتظم فنه في سلك (بضدها تتميز الرسوم أو تتقزم).

هكذا إذاً حنظلة شاهد الفضيحة / الفضائح، وناجي العلي شاهد الفضيحة الفنية في يومنا هذا، وفيما سيأتي. وسيبقى رحيله تاريخياً عنيفاً دموياً ونوعياً أيضاً، ويبقى حنظلة صورته الصغيرة التي بدأت مشاكسة، شاعرة، مقاتلة، ثم استدارت الاستدارة الأخيرة مكتوفة الأيدي، بعد أن تلطخت يداه بعبق البرتقال، ولطخ الحيطان بخربشات بواكيره، ثم لطخ قلوبنا بإيقونة الفتى الصغير.